٦

الجمال الخطير

بدأت المشكلة عندما تعلمت هى العبرية وتعلمتُ أنا الفرنسية.

أرنون ميلتشان لمجلة لوس أنجلوس فى أبريل ٢٠٠٠

بالنسبة لأى شخص طبيعى فالفاعلية السياسية، وإدارة جمعية للكيماويات والأسمدة، والعمل كأحد مقومات الاستخبارات أنشطة كافية لشغل الوقت. لكن بالنسبة لشخص مثل ميلتشان، وحتى وهو فى مستهل العشرينات، لم تكن كافية بأى شكل، كان منذ صغره مفتوناً بالأفلام وبالمشاهير، وبدأ يتردد على مواقع تصوير بضعة أفلام أنتجت فى إسرائيل، وبدأت فكرة المساهمة فى البيزنس تكبر معه.

وذات يوم فى فبراير عام ١٩٦٥، وفى طريقه لاجتماع محدد الموعد مسبقاً فى رواق فندق هيلتون تل أبيب ، وكان أكبر وأفخم فندق شاطئى فى المدينة آنذاك، لاحظ شابة رائعة الجمال تصادف أنها عارضة أزياء فرنسية. ذكرته ببريجيت باردو، فتاة فرنسية فاتنة أخرى كانت من رموز ثقافة السينما الشعبية آنذاك،وكانت تلك الشابة قد دعيت إلى إسرائيل فى جهد لإضفاء السحر الأوروبى على أول عرض أزياء ضخم للبلد المنعزل. وكان سيقام فى نفس الفندق ذلك الأسبوع وكان حدثاً إعلامياً محلياً هاماً.

وبإصراره المعهود، لكن بحذر وبلباقة، توصل لاسمها "بريجيت غونمير"، وعرف أنها قريبة من بعيد لوزير الخارجية الفرنسى السابق بيير مينديز. وخلال ساعات تخلى عن كل المحاذير وبدأت علاقة شغوفة.

ووقع أرنون فى غرامها، واستأجر غرفة فى الفندق، وبالرغم من أنهما كانا يتواصلان بصعوبة - إذ تعلم هو الفرنسية عقب ذلك بأعوام ولم تكن هى تتحدث العبرية وقليلاً من الإنجليزية - فقد تجاذبا جسدياً ونهلا من بعضهما.

فى الأيام التالية تدله فى الحب تماماً، واتصل بصديقه رافى شاءولى ودبر لإغلاق ملهاه الليلى مانديز تلك الليلة لإبهار بريجيت بسهرة حصرية هناك. لم يدعُ سوى أقرب أصدقائه. وبطبيعة الحال، فقد حضر جميع أفراد مجتمع المبدعين فى تل أبيب، أو الأشخاص البوهيميين، وصفوة الصفوة.

ودعا شاءولى زوجته المتألقة، ماندى، ولأجل تلك المناسبة دعا أرنون أيضاً فرقة الروك الواعدة فى إسرائيل ذا ليونز. وكانت الفرقة تعتبر من أولى الفرق الإسرائيلية التى تجرب أداء موسيقى الريجى، وفى عام ١٩٦٨ أصبحت أول فرقة إسرائيلية تنتج

أغنية تحتل مركزاً متقدماً فى قوائم الأغانى الإنجليزية بعنوان "حبنا شيء ينمو". وكان أعضاؤها قد خرجوا من أحياء الطبقة الفقيرة والتى لم يكن أرنون يألفها جيداً أو يرتاح لها.

وكان عازف الباص فى الفرقة فتى هيپيا معدماً مجهولاً طويل الشعر، والذى أصبح لاحقاً مليادیراً وأحد أباطرة الإعلام فى الولايات المتحدة، وأحد أكبر المتبرعين للحزب الديمقراطى واسمه حاييم صبان، الرجل الذى قدم لكل طفل أمريكى شخصيات مشهورة عالمياً مثل سلاحف النينجا وبارو رينجرز. يمتلك أيضاً شركة يونيفيچن، وهى أكبر شركة إعلام إسبانية فى الولايات المتحدة، وأصبح فى النهاية شريكاً فى العمل مع أرنون ميلتشان، فى الملكية المشتركة للقناة العاشرة الإسرائيلية.

اعتاد صبان والفرقة العزف في ملاه ليلية وضيعة في أحياء فقيرة قاسية، وجاءت دعوتهم فجأة للعزف فى أرقى ملهى ليلى فى تل أبيب كطفرة غيرت مسيرتهم. ويتذكر صبان جيداً اليوم الذى تلقت فيه فرقته دعوة للعزف فى ملهى مانديز حيث يقول:

"كنا متحمسين وكأننا نجحنا أخيراً، إذ فى النهاية سنتمكن من الاحتكاك بصفوة المجتمع فى تل أبيب، عاصمة البلد الثقافية، كل الوجهاء كانوا هناك. أبرم أرنون الصفقة معنا عن فقرتين من ثلاث أغان تتخللهما استراحة قصيرة فى المنتصف. وكانت تلك الفرصة التى كنا نبحث عنها بالتأكيد، إذ كانت الفرصة الأولى لأشخاص طويلى الشعر مثلنا للتعامل مع النخبة الثقافية للحصول على بعض الشرعية".

كان الأمر يتطلب أربعة عمال لحمل معدات الفرقة الثقيلة إلى أعلى المسرح، بما فيها أرغن ضخم. كان كل شيء معداً للبدء. وبدأ فريق ليونز فى العزف وسار كل شيء على ما يرام، وبدا الجمهور منسجماً مع العزف. لكن بعد الأغنية الثالثة فى

الفقرة الأولى حيث كان يفترض بهم أن يأخذوا استراحة، أخذت الأمور منحنى سيئاً، ويتذكره حاييم قائلاً:

"بدلاً من أن يسمحوا لنا بالاختلاط بالحضور أثناء الاستراحة، صدرت تعاليم أرنون لنا بالانتقال إلى المطبخ، وكنا نسترق النظر عبر نوافذ المطبخ وكأننا من الخدم الفقراء. ثم صعدنا للمسرح وأنهينا الفقرة الثانية وتم اصطحابنا فى الحال من الملهى إلى الباب الخلفى. هكذا كان الحال فى تلك الأيام، الأشكيناز الأخيار هنا، والسفرديم المنحطون هناك. هكذا قابلت أرنون ميلتشان لأول مرة".

يتذكر أرنون الذى يزعم أنه قوى الذاكرة، الأمر بشكل مختلف.

"كان الاتفاق على ثلاث أغان مقابل ٢٠٠ دولار. لاحقاً، وبعد بعض المفاوضات، أضيفت ثلاث أغان أخرى. أثناء الأغنية الثانية، كنت أرقص مع بريجيت وفجأة سمعت وراء ظهرى حديثاً بالفرنسية. فاستدرت لأرى حاييم صبان عازف الباص، يدردش بالفرنسية مع بريجيت من فوق المسرح. كونا علاقة ما ولم أكن أفهم أية كلمة بالفرنسية، وكانت تبادله الحديث وبدا أنها فتنت به... تلك الفتاة التى كنت أرقص معها! أى ببساطة كان يغازلها من فوق المسرح. لذلك بعد انتهاء الفقرة أرسلتهم إلى المطبخ. وكان هذا أبعد مكان عن بريجيت يخطر ببالى، ولولا أن حاييم صبان غازلها، لمكث مع الأشكيناز، الأمر بهذه البساطة".

وكأن ليلة حصرية فى ملهى مانديز لم تكن كافية، فقد نقل أرنون فى ذات الوقت مكاتب شركته ميلتشان إخوان من سوق الجملة الزراعى القذر إلى موقع أرقى بكثير على مقربة من شارع كارلباخ. أتم تلك الخطوة فى عجلة فائقة، فى الوقت المناسب لاستقبال زيارة قصيرة من بريجيت والتى لم يكن لها أى علم بالجلبة التى حدثت بسببها.

وسواء كان الأمر صدفة أم لا، فقد كان موقع ميلتشان إخوان الجديد بجوار مقر أكثر منظمات الاستخبارات سرية فى إسرائيل أى لاكام.

ترك أرنون انطباعاً جيداً لدى بريجيت، التى وقعت فى غرامه وقررت البقاء فى إسرائيل. ومن ناحيتها فقد تركت بريجيت انطباعاً جيداً على صديق أرنون الجديد شمعون بيريز، والذى انبهر بجمالها وقدر صلتها بوزير الخارجية الفرنسى السابق بيير منديز، واستمتع بيريز أيضاً باستعراض فرنسيته الطلقة.

وخلال عشرة أيام تزوج أرنون وبريجيت وفق مراسم مدنية فى باريس، وخلال بضعة أشهر بدأ بطنها يكبر بالحمل. واقترح أرنون بعد ذلك زواجاً يهودياً تقليدياً. ولم تجد بريجيت مشكلة فى ترك عملها أو أصولها الكاثوليكية من أجل حياة يهودية فى إسرائيل.

وطلب أرنون من بريجيت اعتناق اليهودية، وهى عملية طويلة وصعبة يمكن أن تستغرق عاماً بأكمله نظراً لأنه فى إسرائيل، لا يُقبل اعتناق اليهودية بشكل رسمى إلا من المسيحيين الأرثوذكس. كان سباقاً يائساً ضد الزمن لأنه بدون شهادة اعتناق يهودية رسمية، لن يولد الطفل يهودياً. لكن أرنون كان واثقاً فى قدرته على ممارسة نفوذه على البيروقراطية الإسرائيلية، بما فى هذا السلطة الحاخامية. وبتطور حملها، تُوجت خطوات اعتناقها اليهودية بمراسم المحكمة الحاخامية.

وفقاً لأرنون، عندما وصلت بريجيت لمراسم الميكفاه -مراسم الغطاس لدى اعتناق اليهودية- كانت تصحب أختها وأمها كشاهدتين، وكانت حاملاً فى الشهر التاسع بالفعل، وسألتها زوجة الحاخام:

"هل تقسمين أنك عذراء؟"، وبدون أن تطرف لها عين وبطنها المنتفخ وهى تقف عارية على حافة المغطس، أجابت بصوت عال "أجل".

عندما أخبرت أرنون بذلك لم يتمالك نفسه وانفجر فى الضحك.

وأقيم حفل الزفاف اليهودى المتواضع قبل أيام فقط من دخول بريجيت ببطنها المنتفخ المستشفى وولادتها لطفلها الأول. وكان ولداً وأسمياه ياريف. وكاسم فهو يعنى العدو، الخصم، أو الغريم. وكفعل يعنى سيقاتل. وهى ترجمة حرفية لمقولة أن الرب سيقاتل [ياريف] أولئك الذين يريدون إيذاء أمة إسرائيل.

وبخلاف الافتتان الأولى، فقد رأت بريجيت فى أرنون رجلاً يستطيع أن يحميها ويعولها، ويعرفها على عالم مشوق يفوق بكثير آفاقها المحدودة. ورأى أرنون فى بريجيت امرأة أجنبية شغوفة جميلة، كانت تعد فى إسرائيل فى تلك الأيام رمزاً للرقى الاجتماعى.

ووفقاً لما قاله أرنون بعد ذلك بأعوام:

"بدأت المتاعب عندما بدأت بريجيت تفهم العبرية وتتكلمها وتعلمت أنا الفرنسية".

واقتبس عنه قوله عندما بدأنا نتواصل حقاً، حينها بدأت المتاعب.

كلاهما كان شاباً سريع الغضب، وليس لديه خبرة فى العلاقات.

لم يخلق أرنون ميلتشان ليستقر فى عمل واحد، أو منزل واحد، وفى تلك الحقبة من حياته، لم يكن معداً لعلاقة واحدة أيضاً، وكما شهد على نفسه:

"أقع فى الحب طوال الوقت، أقع فى حب الروح، والوجه، العينين".

"كان بحاراً يطوف بكل ميناء" هكذا يزعم المخرج تيرى غيليام، ومع كل ذلك يصف ميلتشان نفسه بأنه "رجل المرأة الواحدة!".

كانت عملية تجنيد ميلتشان فى لاكام تدريجية، لكن الوقت حان ليجلس مع بيريز

وديان ليناقشوا أكثر الوسائل فاعلية بالنسبة له للإسهام فى القضية.

كان لدى ميلتشان فكرة. فقد كون بالفعل عدة صلات مع العديد من متعهدى الدفاع العسكرى وشركات الفضاء الجوى ساعياً لتمثيلهم فى إسرائيل. وإن سعت وزارة الدفاع برفق لتشجيع تلك الشركات للعمل معه كممثلهم الحصرى فى البلد، حينها سيحول العمولات المكتسبة مرة أخرى إلى إسرائيل لتمويل العمليات السرية.

وكان هذا فى الواقع الاتجاه الذى انتواه كل من بيريز وديان عندما فكرا فى ميلتشان كوزير مالية محتمل أثناء حملة حزب رافى فى الماضى إذ انبهرا بقدرته على استيعاب الصورة الكاملة، والتوصل لحلول من تلقاء نفسه، وتقديم خدماته كعمل وطنى.

وكانت الخطة التى توصلوا إليها شبيهة بالخطة الأصلية التى مولت مفاعل ديمونة نفسه. إذ إن رأس المال سيجمع خارج البلد، ويوضع فى حسابات خارجية، وسيستخدم لتمويل مهام خارج القطر يستحسن أن تظل طى الكتمان، باختصار نظام مواز لا يمكن اقتفاء أثره إلى إسرائيل نفسها.

لكن ميلتشان قدم أكثر من ذلك، إذ عرض على ديان وبيريز استخدام شركته كواجهة فى سبيل افتتاح شركات فرعية وقتما يتطلب لاكام أو الموساد ذلك من أجل نشاطاتهما.

كان لميلتشان أن يفتح حسابات وشركات واجهة لأجل دولة إسرائيل، بما يجعله مسئولاً عن تقنيات وموارد تمويل الاحتياجات الخاصة لتكامل العمليات الاستخباراتية الإسرائيلية خارج القطر. وهكذا أصبح ميلتشان الرجل الوسيط الذى لا غنى عنه.

كان لتلك الحسابات السرية أن تمكن رئيس الوزراء الإسرائيلى من تنفيذ قرارات خارج حدود إسرائيل بدون الحاجة إلى الميزانيات الرسمية، وموافقة مجلس الوزراء، والسياسات الداخلية، وتسريبات الصحافة التى قد تُعرض العمليات للخطر. بمكالمة واحدة لميلتشان، كانت الأحداث تتوالى وتصبح الموارد متاحة.

كان أرنون مستعداً الآن لغزو العالم، واقترح بيريز أنه يمكن الاستعانة بزوجته الفرنسية الجديدة بريجيت كحلقة وصل مفيدة، إذ كانت فرنسا لا تزال المورد الأول للسلاح الإسرائيلى فى منتصف الستينيات ولذا كانت هى محطة ميلتشان الأولى، حيث أبرم صفقته الأولى عندما كان يزور ما يعرف اليوم بشركة أروسباتيال.

وكان قد أُخطِر بالفعل بأن مجموعة من نخبة قيادات السلاح الجوى الإسرائيلى قد زارت مؤخراً المصنع الكائن فى مارينان بالقرب من مارسيليا، وانبهروا للغاية بمروحيات النقل الثقيل سوبر فريلون. أقنع أيروسباتيال بأنهم يحتاجون لوسيط لمساعدتهم على دفع الصفقة للأمام، وبعد تحريات قصيرة، انبهروا بما يكفى بعلاقات الشاب ميلتشان القوية بكل من بيريز وديان لدرجة تعيينه كممثلهم الرسمى فى إسرائيل. وتمت الصفقة بنفس السرعة التى تم بها زواج أرنون مؤخراً، وتم استحقاق العمولات الأولى للحسابات السرية.

وكردة فعل على إغلاق مصر لمضيق تيران، فى صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧، وفى الساعة ٧:٤٥ صباحاً، أقلع الأسطول الجوى الإسرائيلى كاملاً – باستثناء ١٢ طائرة– من إسرائيل وأغار على كل المجالات الجوية المصرية فى نفس الوقت، ولاحقاً أغار على الأردن وسوريا والعراق فيما عرف بحرب الأيام الستة. نقلت طائرات سوبر فريلون التى تعاقد عليها ميلتشان جنود المظلات الإسرائيليين إلى شرم الشيخ، بما مكنهم من السيطرة على الطرف الجنوبى لشبه جزيرة سيناء فى

سرعة البرق وأنهوا الحصار.

سرعان ما تلت صفقة طائرات سوبر فريلون صفقة أخرى لاثنتى عشرة مروحية حمل خفيف تعرف باسم ألوت. وكانت تلك الطائرات المصنوعة أيضاً فى شركة أيروسباتيال تستخدم فى الانتشار السريع لجنود المشاة للملاحقات الحامية للمتسللين "الإرهابيين"، ولإجلاء الجرحى طوال حرب الاستنزاف ضد إسرائيل.

لعب ميلتشان دوراً حيوياً فى نمو أسطول المروحيات الإسرائيلية الحديث بأكمله، ولاستيعاب تلك الصفقات، افتتح هيلى تريدينغ ليميتد، وهى شركة مكملة لشركة ميلتشان إخوان. وخلال بضعة أشهر، تعاقد أيضاً مع شركة الطائرات الألمانية دورنيير، وأبرم صفقة بيع عدد من طائرات التجسس للأسطول الجوى الإسرائيلى.

من خلال مصادره فى لاكام، عرف ميلتشان بأمر صفقة ضخمة من صواريخ هوك يجرى الإعداد لها لإسرائيل وتوجه فى الحال لمعرض باريس الجوى لعام ١٩٦٧، بعد أيام فقط من حرب الأيام الستة. لفظ هوك وهو الأحرف الأولى من عبارة الصاروخ القاتل الموجه، هو صاروخ أرض/ جو موجه، متوسط المدى، يوفر تغطية دفاع جوى للطائرات منخفضة/ متوسطة الارتفاع، نظام متحرك، لكل أنواع الطقس، يصلح للنهار والليل، وفاعل فى مواجهة المضادات الإلكترونية آنذاك.

وإذ يقف أمام سرادق شركة رايثيون، أرسل ميلتشان رفيقته السويدية الجديدة الفاتنة أولا، والتى كان قد تعرف عليها قبل بضعة أيام فقط، لاستكشاف الانطباع الأول. وخلال لحظات أحاطها مندوبو مبيعات شركة رايثيون وهم يعرضون عليها الشمبانيا، فأشارت لحبيبها المزعوم، رجل الأعمال الإسرائيلى البارز والذى كان يتفقد المعرض ويبحث عن عروض جديدة. وكانت إسرائيل بالطبع تنعم ببريق

انتصارها العسكرى الأخير، لذلك عندما وصل أرنون بعد ذلك ببضع دقائق كان محل فضول الجميع. وقدم ميلتشان نفسه على أنه على علم تام بصفقة صواريخ هوك المتعثرة، ممّا حمّل قيادات ممثلى رايثيون على الاعتقاد بأن الصفقة في خطر بسبب الأسعار.

وخلال لحظات توالت المكالمات بشكل جنونى من باريس إلى مقر رايثيون فى ماستشوستس، ومنها إلى إسرائيل. ذكرَ ميلتشان صديقه وزير الدفاع موشيه ديان، والذى تلقى مكالمة هاتفية أيضاً. وساير ديان الخطة بالطبع، وصرح بأن ميلتشان يمكن أن يكون وسيطاً جيداً لهم. وفهمت شركة رايثيون ذلك التلميح. وخلال أيام أصبح ميلتشان ممثلهم الحصرى فى إسرائيل، وأبرمت صفقة صواريخ الهوك الجديدة بـ ٩٠٠ مليون دولار. وكانت تلك بداية علاقة طويلة مُربِحة.

كانت عمولة ميلتشان الرسمية من صفقة صواريخ هوك ٤٥ مليون دولار، والتى أودعت فى حساب سرى إسرائيلى لا يخضع للرقابة خارج البلاد. وكانت صواريخ هوك حتى آنذاك أعقد الأنظمة المضادة للطائرات وأغلاها فى الترسانة الإسرائيلية. وبمرور الوقت كان ميلتشان يعقد صفقات أخرى تشمل طرزاً مطورة من صواريخ هوك. وبالطبع كان يجب استبدال، كل صاروخ يطلق ضد الأعداء، أو فى التدريبات، بما يعنى المزيد من الطلبيات والمزيد من العمولات. وبمرور الوقت أسقط نظام صواريخ الهوك فى إسرائيل ٣٦ طائرة للعدو!!

ومرت أعوام قبل أن تصبح العلاقة المربحة بين رايثيون وأرنون ميلتشان معروفة للعلن. وكما جاء فى صحيفة واشنطن بوست عقب تحقيق فيدرالى فى الولايات المتحدة، فقد ازدادت الشكوك فى أن ميلتشان تلقى ٣٠٠ ألف دولار عمولة من شركة تابعة لرايثيون. ولم ينجم أى شيء عن ذلك، وذهب الأمر فى النهاية طى النسيان.

فى ١٩٨٨ وبعد ثلاثة عشر عاماً، أصبحت العلاقة بين شركة رايثيون وميلتشان قضية رأى عام عندما وصف المخرج الإنجليزى تيرى غيليام -والذى كان قد انتهى للتو من إخراج فيلم برازيل من إنتاج ميلتشان- كيف سار مع أرنون وابنه الأكبر ياريف إلى داخل سرادق شركة رايثيون فى معرض باريس للأسلحة الجوية نصف السنوى. حيث قال غيليام:

"كان رائعاً أن أرى طبيعة مجال تجارة السلاح، وكان أرنون متحمساً للغاية لألعاب الفيديو. واصطحب ابنه معه ليلعب بتلك الألعاب، والتى يمكنها أن تحاكى تدمير الكوكب".

وأضاف غيليام "اصطحبنى إلى خيمة رايثيون، وكان الأمر برمته حالة من الاستعراض، وكان واضحاً أنه نجم هام فى عالم رايثيون".

أثناء حرب الأيام الستة، تزايدت الرقعة التى أصبحت تحت سيطرة إسرائيل وبدا واضحاً أن جيش الدفاع الإسرائيلى سيحتاج لقدرة توفير قوات استجابة سريعة على مسافات أكبر. سعى الجنرال موتى هود قائد جيش الدفاع الإسرائيلى آنذاك لشراء أسطول كامل من طائرات أوغاستا بيل ٢٠٥ إريكويز والمعروفة باسم هايس، وهى طائرات حققت شهرة فى فيتنام، والتى ستصبح شديدة النفع فى أسطول المروحيات الإسرائيلى حتى التسعينيات.

تم رسمياً شراء طائرات هايس من الشركة الإيطالية أوغاستا لتجنب المقاطعة العربية، والتى كانت الشركات الأمريكية تخافها أيما خيفة آنذاك. فالأسواق العربية عالية الربح -على الأقل نظرياً- كانت بعيدة المنال عن أية شركة لها نشاط تجارى مع إسرائيل، وكان منوطاً بأشخاص مثل أرنون ميلتشان تيسير طرق مبتكرة لشراء تلك الأنظمة لإسرائيل بدون إفساد مصالح الموردين التجارية فى الأسواق الثرية مثل

أسواق المملكة العربية السعودية والكويت.

دبر ميلتشان الأمر لشركات واجهة تشترى المنتجات مثل المروحيات وغيرها فى بلد ثالث، ثم تشحنها إلى إسرائيل. فى النهاية كشف العرب تلك الطرق وأطلقوا مقاطعة ثانوية، تعاقب بمقتضاها الشركات التى تتعامل تجارياً مع الشركات التى تتعامل مع إسرائيل.

حل ميلتشان تلك المشكلة ببساطة بتكوين شركات واجهة أجنبية إضافية، تبيع لها شركة الواجهة الأولى، قبل الشحن إلى إسرائيل. وصعّد العرب من الإجراءات الاستباقية بإجراءات لمقاطعة من الدرجة الثالثة، وأصبحت شركات الواجهة من الدرجة الثالثة ضرورية أحياناً.

وفى النهاية أدرك العرب عدم جدوى تلك الجهود وفقدت المقاطعة فاعليتها ببطء. وبحلول عام ١٩٧٧ مرر الكونجرس قانوناً وقع عليه جيمى كارتر الرئيس آنذاك، بتشجيع من صديق ميلتشان، إرفينغ شابيرو مدير شركة دوبونت، ينص على فرض غرامات على أية شركة أمريكية تتعامل مع المقاطعة العربية. ولتطبيق القانون، افتتح مكتب الإذعان لمناهضة المقاطعة، وبحلول الثمانينيات، دخلت شركات مثل بيبسيكو وماكدونالدز والتى التزمت بالمقاطعة العربية لعقود، السوق الإسرائيلية بانفتاح، وكذلك فعل متعهدو الدفاع العسكرى الأمريكى.

وكان دهاء ميلتشان وآخرين هو الذى حال دون أن تركع إسرائيل، إذ لعبوا دوراً هاماً فى إمداد إسرائيل أثناء سنوات المقاطعة الأكثر تأثيراً. من ناحية أخرى وبالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى نفسه، فإن المقاطعة العربية جعلت خدمات ميلتشان مصيرية. عقب حرب الأيام الستة، بدأت الرؤية الأمريكية لإسرائيل كمكسب استراتيجى محتمل فى المنطقة تتزايد، ومن هذا المنطلق، بدأ الخط الائتمانى لشراء

أسلحة أمريكية يتصاعد أيضاً.

وعلى مدار السنوات التالية أصبحت إسرائيل من أكثر الدول التى تتلقى مساعدة عسكرية مباشرة من الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية، وتحولت خطوط الائتمان الضخمة إلى مِنحٍ ضخمة فى هيئة معونات عسكرية بمليارات الدولارات. وكما بينت وقائع معرض باريس الجوى، كان ميلتشان من المعنيين النشيطين بالأمر بما يفوق غيره، وكان يشق طريقه بسحره عبر المتاهات المحتملة من الألغام، ويمثل العديد من شركات النخبة الأوروبية الأمريكية فى مجال صناعات الدفاع العسكرى والفضائية فى مفاوضاتها غير المباشرة مع وزارة الدفاع الإسرائيلية.

وفى أواخر عام ١٩٦٧، تلقت إسرائيل السرب الأول من طائرات سكاى هوك إيه ٤ من إنتاج شركة ماكدونيل دوجلاس من الولايات المتحدة، والتى أصبحت طائراتها الأهم فى الهجوم الأرضى. وبعد ذلك بعامين، وفى ٥ سبتمبر ١٩٦٩، تلقت أول سرب من طائرات إف ٤ فانتوم من إنتاج شركة ماكدونيل دوجلاس أيضاً.

لم يمثل ميلتشان شركة ماكدونيل دوجلاس، لكنه مثل الشركة التى تزودها بأنظمة الأسلحة الرئيسية، وبهوائياتها المتقدمة، وبالرادارات، وبأنظمة الأشعة تحت الحمراء، وأنظمة التوجيه، وأنظمة الملاحة. وبمرور السنين اشترت إسرائيل الآلاف من صواريخ سايدويندر تكلفة ٨٤ ألف دولار للصاروخ، وصواريخ سبارو تكلفة ١٢٥ ألف دولار للصاروخ، وأسلحة أخرى جو / جو وجو / أرض لمنصات طائرات سكاى هوك وفانتوم، ولاحقاً لأسرابها من طائرات إف ١٥ وإف ١٦. وبخلاف الطائرات نفسها، كانت الصواريخ والقنابل تستهلك باستمرار، إما فى التدريبات أو فى الاشتباكات العسكرية الفعلية، وكانت تحتاج لإعادة الإمداد باستمرار عبر ميلتشان،

وعبر تضخيم الحسابات السرية الخارجية لإسرائيل، وبزيادة رقعة قدراتها السرية حول العالم.

أصبح أحد تلك الأنشطة السرية مألوفاً للعديد من مريدى السينما فى فيلم الحركة والإثارة "ميونيخ" للمخرج ستيفن سبيلبرغ من إنتاج ٢٠٠٦ . إذ يروى الفيلم القصة الحقيقية لعملاء الموساد الإسرائيليين من وحدة كيدون أو الرمح، الذين أرسلوا إلى أوروبا لاغتيال أولئك المسئولين عن مذبحة ١٩٧٢ للرياضيين الإسرائيليين فى دورة الألعاب الأوليمبية فى ميونيخ.

ويصف سبيلبرغ العملية بأنها كانت ممولة من قبل الحكومة الإسرائيلية، بمشهد غير واقعى يستدعى الضحك يشمل موظف حكومة إسرائيلياً يطالب بصوت عال أن يقدم القتلة فواتير عن كل التكاليف، بما سيوفر برهاناً ورقياً لكل أنشطتهم.

لكن ما كان واقعياً هو المشهد والذى يفتح فيه العميل الرئيسى أفنر -والذى لعب دوره إيريك بانا- صندوق ودائع فى مصرف فى زيوريخ ليحصل منه على المال اللازم لتمويل المهمة.

وبدون أن يدرى سبيلبرغ فقد تعرض بالصدفة لنفس الأنواع من الحسابات الخارجية التى استخدمتها إسرائيل لتمويل تلك العمليات وأمثالها. وكانت الشركة النرويجية الوهمية التى اشترت قوارب تشيربورج، والشركة الوهمية التى اشترت مائتى طن من أكسيد اليورانيوم والتى اختفت فى البحر المتوسط، وعمليات الشراء السرية لطائرات سوبر ميراج الفرنسية بالغة السرية، كلها أمثلة على العمليات التى كانت تمولها الحسابات السرية.

وكان من المعتاد لأى عميل إسرائيلى أن يستميل كبار مديرى الشركات ومسئولى الحكومات فى قطاعات هامة حساسة، من خلال تماهيهم مع إسرائيل، أو

بواسطة المال، أو كليهما. لكن تلك الحسابات لم تكن تستخدم فحسب فى عمليات التجسس. حيث كانت تستخدم فى الأغلب فى الشراء المباشر للتكنولوجيا المحرمة، أو حتى لإعالة أرامل الجواسيس الذين سقطوا وأطفالهم، مثل نادية، أرملة الجاسوس الإسرائيلى المحترف إيلى كوهين.

كان من الطرق المعتادة فى العمليات، توفير سبل الإنكار المعقول للمجرم، أى إقناع الموظف المسئول بترك التصميمات، بالصدفة، فى منطقة مكشوفة فى موعد محدد مسبقاً. كانت ساعة أو اثنتان مدة أكثر من كافية تتيح لفريق مدرب تصوير تلك المواد وتوثيقها. قبل أن يعيدها مالكها الغافل إلى مكانها.

يقول أرنون: "أياً كان الإنجاز، لطالما كانت الرحلة إلى الهدف أكثر إرضاء عن الإنجاز نفسه". كان هذا هو الحال بالتأكيد فى علاقته مع بريجيت، ثم كون أرنون – وخلال فترة قصيرة من الوقت–، صلة بأُولا، وهى فارسة من جوتنبريج، التقاها فى باريس قبل المعرض الجوى. وتكفل بأُولا وابنها الصغير، واستأجر لهما منزلاً فى قبرص، على مسافة ثلاثين دقيقة بالطائرة من تل أبيب، حيث افتتح مكتباً محلياً. ثم عاش حياة مزدوجة.

وكل أسبوع تقريباً كان مكتب ميلتشان إخوان فى تل أبيب يتلقى تلغرافاً مستعجلاً يطلب حضور أرنون فى اجتماع عمل طارئ فى قبرص، مما يستحثه للسفر لقضاء بعض الوقت بين ذراعى عشيقته الجديدة. وخلال عام من السفر ذهاباً وإياباً، قرر أرنون أن يأتى بأُولا إلى إسرائيل، حيث وفّر لها إقامة فى منزل صغير مريح فى ضواحى تل أبيب، واشترى لها أفضل حصان وجده. وبعد ذلك قضى أيامه بين زوجته، وعمله، وعشيقته السرية. لم يكن ذلك وضعاً يمكن استمراره، وكان عليه التخلى عن بعض مصادر متعته.